حول حديث: يوشك أن تتداعى عليكم الأمم

:(السؤال)

ورد المجلة سؤال من أحد الأساتذة المحامين في بغداد يرجو فيه التحقيق من قبل الأستاذ ناصر الدين الألباني في صحة الحديث المشهور : " تتداعى عليكم الأمم . . : . " ويقول

: إنني أرتاب في صحة هذا الحديث لسببين "

. الأول : أنه يخبر عن الغيب ، ولا يعلم الغيب غير الله

والثاني : يهدف إلى حمل الناس على الرضا بما نحن فيه والبقاء عليه وعدم العمل . " على تغييره

: ثم يستنتج من ذلك أنه

. " لا بد أن يكون الحديث من وضع عدو للإسلام ولدينهم "

:(الجواب)

وجواب الأستاذ الألباني : إن الحديث صحيح بلا ريب ، وهو يخبر عن أمر غيبي بإطلاع الله تبارك وتعالى له عليه ، وهذا أمر سائغ جائز لا غبار عليه بل هو من مستلزمات النبوة والرسالة ، والحديث يهدف إلى خلاف ما ظنه السائل ، هذا مجمل : الجواب ، واليك التفصيل

: صحة الحديث -1

لا يشك حديثي في صحة هذا الحديث البتة ، لوروده من طرق متباينة وأسانيد كثيرة، :عن صاحبين جليلين

.–الأول : ثوبان مولى رسول الله –صلى الله عليه وسلم

والثاني : أبو هريرة –رضى الله تعالى عنه– الذى حفظ لنا ما لم يحفظه غيره من الصحابة –رضوان الله عليهم– من سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– فجزاه الله عن المسلمين خيراً.

: أما ثوبان –رضي الله عنه– فله عنه ثلاث طرق

: –عن أبي عبد السلام ، عن ثوبان ، قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –1 يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " ، فقال قائل : ومن " قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن " ، فقال قائل : يا . " رسول الله وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا ، وكراهية الموت

أخرجه أبو داود في سننه (2/10 2) والروياني في مسنده (ج 2/134/25) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عنه ، ورجاله ثقات كلهم غير أبي عبد السلام . هذا فهو مجهول ، لكنه لم يتفرد به بل توبع –كما يأتي– فالحديث صحيح

. عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان مثله –2

أخرجه أحمد (287/5) ومحمد بن محمد بن مخلد البزار في " حديث ابن السمان " (ق 182–183) عن المبارك بن فضالة ، حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي ، أنا أبو أسماء الرحبي به ، وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات ، وإنما يخشى من المبارك التدليس ، وقد صرح بالتحديث فأمنا تدليسه.

. عن عمرو بن عبيد التميمي العبسي ، عن ثوبان مختصراً –2

أخرجه الطيالسي في سنده (ص 123) ، (211/2 من ترتيبه للشيخ البنا) وسنده . ضعيف لكنه قوي بما قبله

فالطريق الثاني حجة وحده لقوة سنده ، وبانضمام الطريقين الآخرين إليه يصير . الحديث صحيحاً لا شك فيه

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه أحمد في المسند أيضاً (259/2) عن شبيل بن عوف : ، عنه ، قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول لثوبان
كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم . . . الحديث نحوه وسنده لا بأس به " في الشواهد " ، وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (287/7) : " رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط بنحوه ، وإسناد أحمد جيد " !
وجملة القول : إن الحديث صحيح بطرقه وشاهده ، فلا مجال لرده من جهة إسناده ، فوجب قبوله والتصديق به .

2– إخباره –صلى الله عليه وسلم– عن الغيب :

من المستغرب جداً عندنا الشك في صحة الحديث بدعوى " إنه يخبر عن الغيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله " ومن المؤسف حقاً أن تروج هذه الدعوى عند كثير من شبابنا المسلم فقد سمعتها من بعضهم كثيراً ، وهي دعوى مباينة للإسلام تمام المباينة ، ذلك لأنها قائمة على أساس أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بشر كسائر البشر الذين لا صلة لهم بالسماء ، ولا ينزل عليهم الوحي من الله تبارك وتعالى .

أما والأمر عندنا معشر المسلمين على خلاف ذلك ، وهو أنه عليه السلام مميز على البشر بالوحي ، ولذلك أمره الله –تبارك وتعالى– أن يبين هذه الحقيقة للناس فقال في آخر سورة الكهف : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) وعلى هذا كان لكلامه –صلى الله عليه وسلم– صفة العصمة من الخطأ لأنه كما وصفه ربه عز وجل : (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) ، وليس هذا الوحى محصوراً بالأحكام الشرعية فقط ، بل يشمل نواحي أخرى من الشريعه منها الأمور الغيبيه ، فهو –صلى الله عليه وسلم– وإن كان لا يعلم الغيب كما قال فيما حكاه الله عنه : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف : 187) فإن الله تعالى يطلعه على بعض المغيبات وهذا صريح فى قول الله تبارك وتعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وقال : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء).

فالذى يجب اعتقاده أن النبى –صلى الله عليه وسلم– لا يعلم الغيب بنفسه ولكن الله تعالى يعلمه ببعض الأمور المغيبه عنا ، ثم هو صلى الله تعالى عليه وسلم يظهرنا على ذلك بطريق الكتاب والسنة ، وما نعلمه من تفصيلات أمور الآخرة من الحشر والجنة والنار ومن عالم الملائكه والجن ونحو ذلك مما وراء المادة ، وماكان وماسيكون ، ليس هو الا من الأمور الغيبية التي أظهر الله تعالى نبيه عليها ، ثم بلغنا إياها ، فكيف يصح بعد هذا أن يرتاب مسلم فى حديثه لأنه يخبر عن الغيب ؟! ولو جاز هذا للزم منه رد أحاديث كثيرة جداً قد تبلغ المائه حديثاً أو يزيد ، هى كلها من أعلام نبوته –صلى الله عليه وسلم– وصدق رسالته ، ورد مثل هذا ظاهر البطلان ، ومن المعلوم أن ما لزم منه باطل فهو باطل ، وقد استقصى هذه الأحاديث المشار إليها الحافظ ابن كثير فى تاريخه وعقد لها بابا خاصا فقال : " باب ما أخبر به –صلى الله عليه وسلم– من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده فوقعت طبق ما أخبر به سواء بسواء " ثم ذكرها فى فصول كثيرة فليراجعها حضره السائل إن شاء في " البداية والنهاية " (6/182–256) يجد فى ذلك هدى ونوراً بإذن الله تعالى ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

) وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) وقال : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم * وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (

فليقرأ المسلمون كتاب ربهم وليتدبروه بقلوبهم يكن عصمة لهم من الزيغ والضلال ، كما قال –صلى الله عليه وسلم– : " إن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً " . (1)

3– هدف الحديث :

عرفنا مما سبق أن الحديث المسؤول عنه صحيح الإسناد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وأن ما فيه من الإخبار عن أمر مغيب إنما هو بوحي من الله تعالى إليه – صلى الله عليه وسلم– ، فإذا تبين ذلك استحال أن يكون الهدف منه ما توهمه السائل الفاضل من " حمل الناس على الرضى بما نحن فيه . . . " بل الغاية منه عكس ذلك تماماً ، وهو تحذيرهم من السبب الذي كان العامل على تكالب الأمم وهجومهم علينا ، ألا وهو " حب الدنيا وكراهية الموت " فإن هذا الحب والكراهية هو الذي يستلزم الرضا بالذل والاستكانة إليه والرغبة عن الجهاد في سبيل الله على اختلاف أنواعه من الجهاد بالنفس والمال واللسان وغير ذلك ، وهذا هو حال غالب المسلمين اليوم مع الأسف الشديد .

فالحديث يشير إلى أن الخلاص مما نحن فيه يكون بنبذ هذا العامل ، والأخذ بأسباب النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، حتى يعودوا كما كان أسلافهم " يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة " .

وما أشار إليه هذا الحديث قد صرح به حديث آخر فقال –صلى الله عليه وسلم– : " إذا تبايعتم بالعينة (2) ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " . (3)

فتأمل كيف اتفق صريح قوله فى هذا الحديث " لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " مع ما أشار إليه الحديث الأول من هذا المعنى الذى دل عليه كتاب الله تعالى أيضاً ، وهو قوله : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

فثبت أن هدف الحديث إنما هو تحذير المسلمين من الاستمرار في " حب الدنيا وكراهية الموت " ، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمن تنبهوا له وعملوا بمقتضاه لصاروا سادة الدنيا ، ولما رفرفت على أرضهم راية الكفار ، ولكن لا بد من هذا الليل أن ينجلي ، ليتحقق ما أخبرنا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فى أحاديث كثيرة : ، من أن الإسلام سيعم الدنيا كلها ، فقال عليه الصلاة والسلام

" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر " . (4)

ومصداق هذا الحديث من كتاب الله تعالى قوله عز وجل: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وصدق الله العظيم إذ يقول : (ولتعلمن نبأه بعد حين).

أبو عبد الرحمن

محمد ناصر الدين الألباني

المصدر: مجلة التمدن الإسلامي (24 / 421 – 426).

(1) حديث صحيح ، أخرجه ابن نصر في " قيام الليل " (ص 74) وابن حبان في صحيحه (ج 1 رقم 122) بسند صحيح ، وقال المنذري في " الترغيب " (1 / 40) : " رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد ".

(2) هي أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه نقداً بأقل من الثمن الذي باعها به .

(3) أخرجه أبو داود (100/2) وأحمد (رقم 4825 ، 5007 ، 2562) والدولابي في " الكنى " (52) والبيهقي (316/5) من طرق عن ابن عمر ، صحح أحدها ابن القطان ، وحسن آخر شيخ الإسلام ابن تيمية في " الفتاوى " (32/3 ، 278) .

أخرجه أحمد (103/4) والطبراني في " المعجم الكبير " (2/126/1) والحاكم (4) (430/4) وابن بشران في " الأمالي " (1/60) وابن منده في " كتاب الإيمان " (1/102) والحافظ عبدالغنى المقدسى في " ذكر الإسلام " (2/126) من طريق أحمد عن تميم الداري مرفوعاً . وسنده صحيح ، وصححه الحاكم أيضاً ووافقه الذهبي وقال المقدسي : " حديث حسن صحيح " ، وله شاهدان : أحدهما عن المقداد بن الأسود أخرجه ابن منده والحاكم وسنده صحيح ، والآخر عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه الحاكم (488/1).